تعامل النبي ﷺ مع الصغار

كان النّبـيُّ ﷺ شـديدَ الاهتـمام بالأطفـال، يحـثُّ على رحمتهـم، والشـفقةِ عليهم، وهو القائل ﷺ: «**ليسَ منّا منْ لمْ يرحمْ صغيرنا**»(١).

وكان ﷺ يرحم الطفلَ ويشفقُ عليه ولو كان ولد زنا:

فلـما جاءتـه الغامدية التي زنت ردهـا حتى تلد، فلما وضعت وجاءت قـالَ ﷺ: «**إذاً لا نرجمها وندعُ ولدها صغيراً ليسَ لهُ منْ يرضعهُ**».

فقامَ رجلٌ منْ الأنصارِ فقالَ: إليَّ رضاعهُ يا نبيَّ اللهِ(٢).

وكان من هديه مع الصغار: تبريكهم، وتحنيكهم، والدّعاء لهم.

فكان ﷺ يؤتى بالصبيان، فيبرّك عليهم، ويحنّكهم، ويدعو لهم، وكان الصحابة رضوان عليهم إذا ولدَ لهم مولودٌ؛ أتوا به رسولَ الله ﷺ التماساً للبركة.

عنْ أسماءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنّها حملتْ بعبدِ الله بنِ الزّبيرِ قالتْ: فخرجتُ وأنا متمٌّ(٣) فأتيتُ المدينةَ، فنزلتُ بقباءٍ، فولدتهُ بقباءٍ.

ثمَّ أتيتُ بهِ النّبيَّ ﷺ، فوضعتهُ في حجرهِ، ثمَّ دعا بتمرةٍ، فمضغها، ثمَّ تفلَ في فيهِ، فكانَ أوّلَ شيءٍ دخلَ جوفهُ ريقُ رسولِ الله ﷺ، ثمَّ حنّكهُ بتمرةٍ، ثمَّ دعا لهُ وبرّكَ عليهِ، وكانَ أوّلَ مولودٍ ولدَ في الإسلامِ(٤).

---

(١) رواه الترمذي [١٩٢٠] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٥٤٤٤].

(٢) رواه مسلم [١٦٩٥].

(٣) أيْ: مقاربةٌ للولادةِ.

(٤) رواه البخاري [٣٦١٩].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذهبتُ بعبدِ الله بنِ أبي طلحةَ الأنصاريِّ إلى رسولِ الله ﷺ حينَ ولدَ، ورسولُ الله ﷺ في عباءةٍ يهنأُ بعيراً لهُ[١].

فقالَ: «**هلْ معكَ تمرٌ؟**».

فقلتُ: نعمْ، فناولتهُ تمراتٍ، فألقاهنَّ في فيهِ، فلاكهنَّ ثمَّ فغرَ فا الصّبيِّ[٢] فمجّهُ في فيهِ، فجعلَ الصّبيُّ يتلمّظهُ[٣].

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**حبُّ الأنصارِ التّمرَ**»، وسمّاهُ عبدَ الله[٤].

«**حبّ الأنصار التّمر**» رويَ بضمِّ الحاء وكسرها فالكسر بمعنى المحبوب، أيْ: محبوب الأنصار التّمر، وأمّا على ضمّ الحاء فتقديره: انظروا حبِّ الأنصار التّمر[٥].

وكان يسمّيهم، ويختار لهم الأسماء الحسنة:

عن سهلِ بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: أتيَ بالمنذرِ بنِ أبي أسيدٍ إلى النّبيِّ ﷺ حينَ ولدَ، فوضعهُ على فخذهِ، وأبو أسيدٍ جالسٌ.

فلها النّبيُّ ﷺ بشيءٍ بينَ يديهِ[٦]، فأمرَ أبو أسيدٍ بابنهِ، فاحتملَ منْ فخذِ النّبيِّ ﷺ.

فاستفاقَ النّبيُّ ﷺ، فقالَ: «**أينَ الصّبيُّ؟**»[٧].

فقالَ أبو أسيدٍ: قلبناهُ يا رسولَ الله[٨].

قالَ: «**ما اسمهُ**».

---

(١) أيْ: يطليه بالقطرانِ.

(٢) أيْ: فتحه.

(٣) أيْ: يحرّك لسانه ليتتبّع ما في فيهِ منْ آثار التّمر، وأكثر ما يفعل ذلكَ في شيء يستطيبهُ.

(٤) رواه مسلم [٢١١٤].

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٢٣].

(٦) أي: انشغل.

(٧) أي: انقضى ما كانَ مشتغلًا بهِ، فأفاقَ منْ ذلكَ، فلمْ يرَ الصّبيّ فسألَ عنهُ.

(٨) أيْ: صرفناهُ إلى منزله.

قال: فلانٌ.

قالَ: «**ولكنْ أسمهِ المنذرَ**»، فسمّاهُ يومئذٍ المنذرَ(١).

قال النووي: «وسبب تسمية النّبيّ ﷺ هذا المولود «المنذر» لأنَّ ابن عمّ أبيهِ المنذر بن عمرو كانَ قدْ استشهدَ ببئرِ معونة، وكانَ أميرهمْ، فتفاءلَ بهِ؛ ليكونَ خلفاً منهُ»(٢).

وعن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ولدَ لي غلامٌ، فأتيتُ بهِ النّبيَّ ﷺ، فسمّاهُ إبراهيمَ، وحنّكهُ بتمرةٍ، ودعا له بالبركة، ودفعه إليّ(٣).

وفيهِ: التّسمية بأسماءِ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأنَّ قوله ﷺ «**أحبّ الأسماء إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرّحمن**» ليسَ بمانعٍ منَ التّسمية بغيرهما، ولذا سمّى ابن أبي أسيدٍ بالمنذر(٤).

وكان يجلسهم على حجره، وفخذه، ويحتمل ما قد يصدر منهم:

عنْ عائشةَ زوجِ النّبيِّ ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يؤتى بالصّبيانِ، فيبرّكُ عليهمْ، ويحنّكهمْ، فأتيَ بصبيٍّ فبالَ عليهِ، فدعا بماءٍ فأتبعهُ بولهُ ولمْ يغسلهُ(٥).

وعنْ أمِّ قيسٍ بنتِ محصنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّها أتتْ بابنٍ لها صغيرٍ لمْ يأكلْ الطّعامَ إلى رسولِ الله ﷺ، فأجلسهُ رسولُ الله ﷺ في حجرهِ، فبالَ على ثوبهِ، فدعا بماءٍ، فنضحهُ، ولمْ يغسلهُ(٦).

ففي هذا الحديث: الرّفقُ بالأطفالِ، والصّبرُ على ما يحدثُ منهمْ، وعدمُ مؤاخذتهمْ؛ لعدم تكليفهم(٧).

---

(١) رواه البخاري [٦١٩١] ومسلم [٢١٤٩].
(٢) شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٢٨].
(٣) رواه البخاري [٥٤٦٧]، ومسلم [٢١٤٥].
(٤) شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٢٦].
(٥) رواه البخاري [٥٤٦٨]، ومسلم [٢٨٦].
(٦) رواه البخاري [٢٢٣]، ومسلم [٢٨٧].
(٧) فتح الباري [١٠/ ٤٣٤].

وكان ﷺ يداعبهم ويلاطفهم:

عنْ أمِّ خالدٍ بنتِ خالدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: أتيَ رسولُ الله ﷺ بثيابٍ فيها خميصةٌ سوداءُ، فقالَ: «**منْ ترونَ نكسوها هذهِ الخميصةَ؟**»، فأسكتَ القومُ.

قالَ: ائتوني بأمِّ خالدٍ، فأُتيَ بي النّبيُّ ﷺ، فألبسنيها بيدهِ.

فجعلَ ينظرُ إلى علمِ الخميصةِ ويشيرُ بيدهِ إليَّ ويقولُ: «**يا أمَّ خالدٍ هذا سنا، ويا أمَّ خالدٍ هذا سنا**».

والسّنا بلسانِ الحبشيّةِ الحسنُ[١].

وكانت أم خالد مع أهلها في هجرة الحبشة، فلذلك داعبها النبي ﷺ بلسان أهل الحبشة.

«**أبلي وأخلقي**» تطلق العرب ذلكَ وتريد الدّعاء بطولِ البقاء للمخاطبِ بذلكَ، أيْ أنّها تطول حياتها حتّى يبلى الثّوب ويخلق.

قالَ الخليل: أبلِ وأخلقْ معناهُ: عشْ وخرّقْ ثيابك، وارقعها[٢].

قالَ البخاري: «لمْ تعشْ امرأة مثل ما عاشتْ هذهِ»[٣].

ومن مداعبته وملاطفته للصغار:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يلاعب زينب بنت أم سلمة، ويقول: «**يا زوينبُ، يا زوينبُ**» مراراً[٤].

قال ابن القيم: «وقدْ دخلتْ عليهِ ﷺ وهوَ يغتسل فنضحَ في وجهها، فلمْ يزلْ ماء الشّباب في وجهها حتّى كبرتْ»[٥].

---

(١) رواه البخاري [٥٨٤٥].

(٢) فتح الباري [١٠/ ٢٨٠].

(٣) فتح الباري [٦/ ١٨٤].

(٤) رواه الضياء في المختارة [١٧٣٣]، وصححه الألباني في الصحيحة [٢١٤١].

(٥) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود [١/ ١٢٢]، الاستيعاب [٤/ ١٨٥٥] لابن عبد البر.

وقد وقف بين يديه ذاتَ مرّةٍ محمودُ بن الرّبيع، وهو ابن خمس سنين، فمجَّ ﷺ في وجهه مجّةً من ماء من دلو يمازحه بها.

عنْ محمودِ بنِ الرّبيعِ قالَ: «عقلتُ منْ النّبيِّ ﷺ مجّةً مجّها في وجهي وأنا ابنُ خمسِ سنينَ منْ دلوٍ»(١).

فكان من بركة ذلك أنه لما كبر لم يبق في ذهنه من ذكر رؤية النّبيّ إلا تلك المجة، فعدَّ بها من الصحابة.

قال ابن حجر: «المجُّ هوَ إرسال الماء منَ الفم، وقيلَ: لا يسمّى مجّاً إلّا إنْ كانَ على بعد.

وفعلهُ النّبيُّ ﷺ معَ محمود إمّا مداعبةً منهُ، أوْ ليبارك عليهِ بها كما كانَ ذلكَ منْ شأنه معَ أولاد الصّحابة.

وفي هذا الحديث منَ الفوائد: جوازُ إحضار الصّبيان مجالس الحديث، وزيارة الإمام أصحابه في دورهمْ، ومداعبته صبيانهمْ»(٢).

ومن ذلك أيضاً ملاعبته لطفل فطيمٍ:

قال أنسُ بنُ مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كانَ النّبيُّ ﷺ أحسنَ النّاسِ خلقاً، وكانَ لي أخٌ يقالُ لهُ: أبو عميرٍ، وكان فطيماً، وكانَ إذا جاءَ قالَ: «**يا أبا عميرٍ ما فعلَ النّغيرُ**»(٣).

النّغير: طائر كان يلعب به.

من فوائد الحديث:

فيه: جوازُ تكنية منْ لمْ يولد لهُ.

وفيهِ: تكنية الطّفل، وأنّهُ ليسَ كذباً.

وفيهِ: جوازُ المزاج فيما ليسَ إثماً.

---

(١) رواه البخاري [٧٧].

(٢) فتح الباري [١/ ١٧٣] باختصار.

(٣) رواه البخاري [٦٢٠٣] ومسلم [٢١٥٠].

وفيهِ: جوازُ تصغير بعض المسمّيات.

وفيهِ: جوازُ لعب الصّبيّ بالعصفورِ، وتمكين الوليّ إيّاهُ منْ ذلكَ.

وفيهِ: جوازُ السّجع بالكلامِ الحسن بلا كلفة.

وفيهِ: ملاطفة الصّبيان وتأنيسهمْ.

وفيهِ: بيانُ ما كانَ النّبيّ ﷺ عليهِ منْ حسن الخلق، وكرمِ الشّمائلِ، والتّواضع.

وفيهِ: زيارةُ الأهل؛ لأنَّ أمّ سليمٍ والدة أبي عمير هيَ منْ محارمه ﷺ[(١)].

وكذلك كان يداعبُ أنس بن مالك:

عنْ أنسِ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: ربّما قالَ ليَ النّبيُّ ﷺ: «**يا ذا الأذنينِ**» يعني يمازحهُ[(٢)].

هذا القولَ منْ جملةِ مداعباتهِ ﷺ ولطيفِ أخلاقهِ[(٣)].

ومن ملاعبته لهم أنه كان يسابق بينهم:

فكان النّبيُّ ﷺ يصفُّ عبدَ اللهِ، وعبيدَ اللهِ، وكثيّراً، منْ بني العبّاسِ ثمَّ يقولُ: «**منْ سبقَ إليَّ، فلهُ كذا وكذا**».

قالَ: فيستبقونَ إليهِ، فيقعونَ على ظهرهِ وصدرهِ، فيقبّلهمْ، ويلزمهمْ[(٤)].

وكان إذا مر بهم سلّم عليهم:

عن أنسِ بن مالك قالَ: أتى رسولُ الله ﷺ على غلمانٍ [يلعبونَ] فسلّمَ عليهم[(٥)].

وعنْ أنسٍ قالَ: أتى عليَّ رسولُ الله ﷺ وأنا ألعبُ معَ الغلمانِ، فسلّمَ علينا[(٦)].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم [١٤/ ١٢٩].

(٢) رواه أبو داود [٥٠٠٢] والترمذي [١٩٩٢]، وصححه الألباني في صحيح الجامع [٧٩٠٩].

(٣) تحفة الأحوذي [٦/ ١٠٨].

(٤) رواه أحمد [١٨٣٩] وقال في مجمع الزوائد [٩/ ٢٨٥]: إسناده حسن، وضعفه الألباني في الضعيفة [٦٥٤٧].

(٥) رواه البخاري [٦٢٤٧]، ومسلم [٢١٦٨]، وأبو داود [٥٢٠٢] والزيادة له.

(٦) رواه مسلم [٢٤٨٢].

لقد كان ﷺ بهذه الأسلوبِ يدخلُ السرورَ والفرح إلى نفوس هؤلاء الناشئة، ويعطيهم الدفعة المعنوية ليتعودوا محادثة الكبار والرّد والأخذ والعطاء معهم، وهذا من حكمته ﷺ.

وكان يمسحُ على رؤوس الصغار:

كان رسول الله ﷺ يداعبُ الأطفال، فيمسح رؤوسهم، فيشعرون بالعطف والحنان.

فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كانَ رسول الله ﷺ يزور الأنصار، [فإذا جاءَ إلى دورِ الأنصارِ جاءَ صبيانُ الأنصارِ يدورونَ حولهُ] فيسلّم على صبيانهمْ، ويمسح على رءوسهمْ، ويدعو لهمْ[١].

وعنْ عبدِ الله بنِ هشامٍ وكانَ قدْ أدركَ النّبيَّ ﷺ وذهبتْ بهِ أمّهُ زينبُ بنتُ حميدٍ إلى رسولِ الله ﷺ، فقالتْ: يا رسولَ الله بايعهُ.

فقالَ: «**هوَ صغيرٌ**»، فمسحَ رأسهُ، ودعا لهُ[٢].

كما كان يمسح خد الطفل:

عنْ جابرِ بنِ سمرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: صلّيتُ معَ رسولِ الله ﷺ صلاةَ الأولى[٣]، ثمَّ خرجَ إلى أهلهِ، وخرجتُ معهُ، فاستقبلهُ ولدانٌ، فجعلَ يمسحُ خدّيْ أحدهمْ واحداً واحداً.

قالَ: وأمّا أنا فمسحَ خدّي.

قالَ: فوجدتُ ليدهِ برداً أوْ ريحاً كأنّما أخرجها منْ جؤنةِ عطّارٍ[٤].[٥]

قال النووي: «وفي مسحه ﷺ الصّبيان بيان حسن خلقه، ورحمته للأطفالِ، وملاطفتهمْ»[٦].

---

(١) رواه النسائي في الكبرى [٨٣٤٩]، والطحاوي في شرح مشكل الآثار [١٥٧٧]، والزيادة له، وصححه الألباني في التعليقات الحسان [٤٦٠].

(٢) رواه البخاري [٢٥٠٢].

(٣) يعني الظّهر.

(٤) الّتي يعدّ فيها الطّيبُ ويحرز. النهاية [١/ ٣١٨].

(٥) رواه مسلم [٢٣٢٩].

(٦) شرح النووي على صحيح مسلم [١٥/ ٨٥].

وكان النبي ﷺ يقبّلُ الأطفال:

عنْ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: قدمَ ناسٌ منَ الأعرابِ على رسولِ الله ﷺ فقالوا: «أتقبّلونَ صبيانكمْ».

فقالوا: نعمْ.

فقالوا: لكنّا والله ما نقبّلُ.

فقالَ رسولُ الله ﷺ: «**وأملكُ إنْ كانَ الله نزعَ منكمُ الرّحمةَ**»(١).

إعطاؤه ﷺ الهدايا للأطفال:

لما كان للهديّةِ أثرٌ طيّبٌ في النفس البشريّة عامّةً، وفي نفس الأطفال أكثر تأثيراً، وأكبر وقعاً، فقد كان النّبيُّ ﷺ يعطي الأطفالَ منها ويتحفهم بها.

عنْ أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يؤتى بأوّلِ الثّمرِ، فيقولُ: اللهمَّ باركْ لنا في مدينتنا، وفي ثمارنا، وفي مدّنا، وفي صاعنا، بركةً معَ بركةٍ، ثمَّ يعطيهِ أصغرَ منْ يحضرهُ منَ الولدانِ(٢).

قال النووي: «فيهِ: بيانُ ما كانَ عليهِ ﷺ منْ مكارم الأخلاق، وكمال الشّفقة والرّحمة، وملاطفة الكبار والصّغار، وخصَّ بهذا الصّغير؛ لكونهِ أرغب فيهِ، وأكثر تطلّعاً إليهِ، وحرصاً عليهِ»(٣).

وقد سبق حديثُ أم خالد لما أتيَ رسولُ الله ﷺ بثيابٍ فقالَ: منْ ترونَ نكسوها هذهِ الخميصةَ فأسكتَ القومُ، قالَ: ائتوني بأمِّ خالدٍ، فأتيَ بي النّبيُّ ﷺ، فألبسنيها بيدهِ(٤).

وكان النبيُّ ﷺ حريصاً على تعليم الصغار وتربيتهم:

عنْ عبد الله بنِ عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كنتُ خلفَ رسولِ الله ﷺ يوماً، فقالَ: «**يا غلامُ، إنّي**

---

(١) رواه البخاري [٥٩٩٨]، ومسلم [٢٣١٧].

(٢) رواه مسلم [١٣٧٣].

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم [٩/ ١٤٦].

(٤) رواه البخاري [٥٨٤٨] عن أم خالد بنت خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

أعلّمـكَ كلماتٍ: احفـظِ اللهَ يحفظكَ، احفظِ اللهَ تجدهُ تجاهكَ، [تعرّفْ إليهِ في الرّخاءِ يعرفكَ في الشّدّةِ] إذا سألتَ فاسألْ الله، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله.

واعلـمْ أنَّ الأمّةَ لوْ اجتمعتْ عـلى أنْ ينفعوكَ بشيءٍ لمْ ينفعوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كتبهُ الله لكَ، ولوْ اجتمعوا على أنْ يضرّوكَ بشيءٍ لمْ يضرّوكَ إلّا بشيءٍ قدْ كتبهُ الله عليكَ.

رفعتْ الأقلامُ، وجفّتْ الصّحفُ [واعلمْ أنَّ في الصّبرِ على ما تكرهُ خيراً كثيراً وأنَّ النّصرَ معَ الصّبرِ وأنَّ الفرجَ معَ الكربِ وأنَّ معَ العسرِ يسراً]»[١].

وكان ﷺ يعلّمهم القرآن والإيمان والتوحيد:

عـنْ جندبِ بنِ عبـدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: كنّا معَ النّبيِّ ﷺ ونحنُ فتيـانٌ حزاورةٌ[٢]، فتعلّمنا الإيمانَ قبلَ أنْ نتعلّمَ القرآنَ، ثمَّ تعلّمنا القرآنَ، فازددنا بهِ إيماناً»[٣].

تربيته ﷺ الأولادَ على حسن السلوكِ:

فلم تكن معاملته للصبيان تقفُ عند حدِّ الملاعبة والملاطفة والتقبيل، بل تجاوزت ذلك إلى التربية النافعة، والتوجيه السديد.

عـنْ أنـسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ: قالَ لي رسـولُ الله ﷺ: «**يا بنيَّ إذا دخلـتَ على أهلكَ فسـلّمْ؛ يكنْ بركةً عليكَ، وعلى أهلِ بيتكَ**»[٤]. أيْ: يكونُ السّـلامُ سببَ زيادةِ بركةٍ، وكثرةِ خيرٍ، ورحمةٍ[٥].

تعليمُ الطفل آداب الأكل:

عن عمر بن أبى سـلمة قال: كنتُ غلاماً في حجرِ رسـولِ الله ﷺ، وكانتْ يدي تطيشُ

---

(١) رواه الترمذي [٢٥١٦]، وأحمد [٢٨٠٠]، والزيادتان له، وصحّحه الألباني بزياداته في الصحيحة [٢٣٨٢].

(٢) وهوَ الّذي قاربَ البلوغَ. النهاية [١/ ٣٨٠].

(٣) رواه ابن ماجة [٦١]. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة [٦١].

(٤) رواه الترمذي [٢٦٩٨]، وقال: «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ»، وضعّفه الألباني في ضعيف الترمذي [٢٦٩٨]، وقال في صحيح الترغيب والترهيب [١٦٠٨]: «حسن لغيره».

(٥) تحفة الأحوذي [٧/ ٣٩٧].

في الصّحفةِ، فقالَ لي رسولُ الله ﷺ: «**يا غلامُ، سمِّ اللهَ، وكلْ بيمينكَ، وكلْ ممّا يليكَ**» فما زالتْ تلكَ طعمتي بعدُ[(١)].

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ كان لا يأنف من الأكل مع الصغير، لكنه كان إذا رأى منهم مخالفة للأدبِ نصحهم وأرشدهم.

وإذا أخطأ أحدهم أرشده برفق ولين:

فيتعامل ﷺ مع خطئه بأسلوب تربوي رشيد، بما يتناسب وصغر سنّه.

عن أبي رافعِ بنِ عمرٍو الغفاريِّ قالَ: كنتُ غلاماً أرمي نخلَ الأنصارِ، فأخذوني، فذهبوا بي إلى النّبيِّ ﷺ.

فقالَ: «**يا غلامُ، لمَ ترمي النّخلَ؟**».

قلتُ: يا رسولَ الله الجوع.

قالَ: «**فلا ترمِ النّخلَ، وكلْ ممّا يسقطُ في أسفلها**».

ثمَّ مسحَ رأسهُ فقالَ: «**أشبعكَ الله وأرواكَ**»[(٢)].

وكان ﷺ يستخدمُ العباراتِ الرقيقة في محادثتهم لاستمالة قلوبهم:

فينادي الطفل بأحسن أسمائه، أو بكنيته، أو بوصف حسنٍ فيه.

فتارةً ينادي الصبيَّ فيقول: «**يا غلام، إني أعلمك كلمات**». و«**يا غلام سم الله، وكلْ بيمينك**».

وتارة يناديه بقوله: «**يا بنيَّ**»؛ كما قال لأنس لمّا نزلت آية الحجاب: «**وراءكَ يا بنيَّ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري [٥٣٧٦]، ومسلم [٢٠٢٢].

(٢) رواه الترمذي [١٢٨٨] وأحمد [١٩٨٣٠]، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ صحيحٌ، وحسّنه الحافظ ابن حجر في الإمتاع بالأربعين المتباينة السماع [ص٣٨]، وقال الأرناؤط: محتمل للتحسين، وضعفه الألباني في الإرواء [٢٥١٨].

(٣) رواه أحمد [١١٩٥٨]، وصححه الألباني في الصحيحة [٢٩٥٧].

وقال عن أبناء جعفر ابن عمه أبي طالب: «**ادعوا لي بني أخي**»[١].

وتارةً يناديهم بالكنية، فيقول للطفل الصغير: «**يا أبا عميرٍ**» وقد سبق قريباً.

فأين هذا من التعامل الغليظ القاسي الذي يلاقيه كثيرٌ من الأطفال الصغار اليوم؟

تعويد الأطفال تحمّل المسؤولية:

وكان يعوّدهم تحمل المسئولية منذ صغرهم؛ لأنهم أبناء اليوم ورجال الغد.

يقول أنسٌ: أتى عليَّ رسولُ الله ﷺ، وأنا ألعبُ معَ الغلمانِ، فسلّمَ علينا، فبعثني إلى حاجةٍ، فأبطأتُ على أمّي، فلمّا جئتُ قالتْ: ما حبسكَ؟

قلتُ: بعثني رسولُ الله لحاجةٍ.

قالتْ: ما حاجتهُ؟

قلتُ: إنّها سرٌّ.

قالتْ: لاَ تحدّثنَّ بسرِّ رسولِ الله أحداً.

وبعد مدة يطلب منه أحد أصحابه أن يعرف السر، فيقول: والله لو حدّثتُ بِهِ أحداً لحدّثتكَ[٢].

وفي رواية: قال أنس: أسرَّ إليَّ النّبيُّ ﷺ سرّاً، فما أخبرتُ بِهِ أحداً بعدهُ، ولقدْ سألتني أمُّ سليمٍ، فما أخبرتها بِهِ[٣].

قال ابن حجر: «قالَ بعض العلماء: كأنَّ هذا السّرَّ يختصُّ بنساءِ النّبيّ ﷺ، وإلّا فلوْ كانَ منَ العلم ما وسعَ أنساً كتمانه»[٤].

---

(١) رواه أحمد [١٧٥٣]، وصححه الألباني في أحكام الجنائز [ص١٦٦].

(٢) رواه مسلم [٢٤٨٢].

(٣) رواه البخاري [٦٢٨٩].

(٤) فتح الباري [١١/ ٨٢].

من فوائد الحديث:

فيه: حسنُ خلقِ النبيِّ ﷺ، وتواضعه الجمُّ، وأنه على شرفه، ومكانته يتواضع حتى يسلّمَ على الصبيان، وهم يلعبون في السوق.

وفيهِ: أنه يسنُّ للإنسان أن يسلّمَ على من مرَّ به، ولو كان من الصبيان.

وفيهِ: جوازُ إرسالِ الصبيِّ بالحاجة لكن بشرط أن يكون مأموناً.

وفيهِ: أنه لا يجوز للإنسان أن يبدي سرَّ شخص حتى ولو لأمه وأبيه.

وفيهِ: حسنُ تربية أم سليم لابنها حيث قالت: «لا تخبرنَّ أحداً بسرِّ رسول الله ﷺ»، وإنما قالت له ذلك مع أنه لم يخبرها، ولم يخبر غيرها؛ تأييداً له، وتثبيتاً[1].

تقدير شخصيّة الطفل:

وهذه من أهم الأمور التي يحتاج إليها الطفل دائماً، ويغفل عنها الآباء غالباً.

فقد كان النبيُّ ﷺ يشعرُ الناشئة بمكانتهم وتقدير ذاتهم، وأنهم في كثير من الأمور كغيرهم من الكبار، لهم حقوق مرعاة.

عنْ سهلِ بنِ سعدٍ السّاعديِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ أتيَ بشرابٍ فشربَ منهُ، وعنْ يمينهِ غلام، وعنْ يسارهِ أشياخٌ.

فقالَ للغلامِ: «**أتأذنُ لي أنْ أعطيَ هؤلاءِ؟**».

فقالَ الغلامُ: لا والله، لا أوثرُ بنصيبي منكَ أحداً.

قالَ: فتلّهُ رسولُ الله ﷺ في يدهِ[2].

إن احترامَ شخصيّةِ الطفلِ يبعث فيه الاعتماد على النفس، والشعورَ بالراحة، وينمّي

(١) شرح رياض الصالحين [٤/ ٤١-٤٤] لابن عثيمين باختصار.

(٢) رواه البخاري [٢٤٥١]، ومسلم [٢٠٣١].

وتلّه في يده: أي: وضعه في يده.

مواهبه، في حين أن التعامل معه باستخفافٍ، والتقليل من مكانته، يؤدّي به إلى العقد النفسيّة، والاضطراب والدّونيّة.

وكان يؤكّدُ على أهمّيّة الصّدق معهم، وعدم الكذب عليهم:

عنْ عبدِ الله بنِ عامرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّهُ قالَ: دعتني أمّي يوماً، ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا.

فقالتْ: ها تعالَ أعطيكَ.

فقالَ لها رسولُ الله ﷺ: «**وما أردتِ أنْ تعطيهِ؟**».

قالتْ: أعطيهِ تمراً.

فقالَ لها رسولُ الله ﷺ: «**أما إنّكِ لوْ لمْ تعطهِ شيئاً، كتبتْ عليكِ كذبةٌ**»[1].

«في الحديث أنَّ ما يتفوّه بهِ النّاس للأطفالِ عند البكاء مثلاً بكلماتٍ هزلاً أوْ كذباً بإعطاءِ شيء أوْ بتخويفٍ منْ شيء حرامٌ داخل في الكذب»[2].

فالكذب على الطفل يفقده ثقته بأبويه، فينصرف عن الاستماع إليهما، ويعمد إلى تقليدهما في الكذب؛ لأنه يراقبُ سلوك الكبار، ويقتدي بهم.

فيجبُ مراعاةُ الصّدق معه عند تسليته، أو إضحاكه، أو سرد قصص وحكايات عليه، والكذب من أبشع الطباع، ولكنه من أسهلها اكتساباً، وأصعبها علاجاً.

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ فينا ... على ما كانَ عوّدهُ أبوهُ

وختاماً نقول: إن التعامل مع الأطفال برفقٍ ولينٍ، مع احترامهم وتقديرهم، يجعلهم أسوياء، ويعوّدهم على الاعتمادِ على النفس، ويربّي فيهم حبَّ الآخرين، والتآلف مع غيرهم، والتآخي، ومعاملة غيرهم بالمودة والرأفة كما كانوا يعاملون، وكما تعوّدوا في صغرهم.

---

(١) رواه أبو داود [٤٩٩١] وصححه الألباني.

(٢) عون المعبود [١٣/ ٢٢٩].

أطفالنا أحبابنا ثمراتنا سعدُ القلوبِ، وقرّةٌ لعيونِ
بعيونهمْ قدْ أشرقتْ آمالنا لرقيِّ دنيانا، ونصرِ الدّينِ
يتطلّعونَ إلى لواءِ جهادنا كيْ يرفعوهُ عالياً بيمينِ
رحمَ الصّغارَ نبيّنا، وأحبّهمْ متعطّفاً بحنانهِ واللّينِ
ويبيتُ يرقيهمْ رقاهُ معوّذاً ويخصّهمْ بدعائهِ الميمونِ
يلقاهمُ يلقي السّلامَ عليهمُ بشراً ويمسحُ رأسهمْ بيمينِ
يهدي إليهمْ ما تحبُّ قلوبهمْ فترى السّعادةَ فوقَ كلِّ جبينِ
ومحاسنَ الآدابِ ربّاهمْ بها ومكارمَ الأخلاقِ بالتّلقينِ
بالصّدقِ في كلِّ الأمورِ كبيرها وصغيرها منْ غيرِ ما تلوينِ
إذْ لا يزالُ لهمْ أبرَّ معلّمٍ فينشّئونَ على التّقى والدّينِ
ويحمّلونَ فيقبلونَ معالياً وهمُ لها أهلٌ كأسدِ عرينِ
ويعاملونَ بالاحترامِ أعزّةً همْ بعدُ جيلُ النّصرِ والتّمكينِ